فريدريك نيتشه

لمحة من ترجمته وتفكيره ومؤلفاته

لحنا خباز

أنجبت المانيا ، في النصف الاخير من القرن المنصرم ، فيلسوفين ضدين . هما يوكن ونيتشه . فكانا في طرفي نقيض ، يوكن يرى ان نقطة دائرة الاكوان هي الحياة الروحية ، ويريد بها الحياة الروحية المسيحية . فألف اكثر من ثلاثين مجلداً في هذا الموضوع في خلال شغله منصب استاذ الفلسفة في جامعة يانا . وهو يرمي الى جعل الحياة الروحية زبدة الوجود وغاية الله في خلقه . وعلى الضد من ذلك نيتشه ، فانه يرى ان المسيحية وأخلاقها هي العقبة الكأداء في سبيل الارتقاء الانساني . وان «السوبرمان» او الانسان السامي ، لا يمكن انجابه ما لم تنبذ الاخلاق المسيحية ، فتغرق في اعماق بحر النسيان ، فلا تذكر ولا تخطر على بال

وهنالك مشابهة واضحة بين كتابات ثولتير وكتابات نيتشه من حيث الطلاوة وغزارة المادة واصابة الهدف ، الا ان مؤلفات نيتشه أوفر علماً ، وأميل الى الجدّ من كتابات ثولتير وهي شعرية الصبغة ، بدأت بالادب ، وانتهت بالفلسفة

ولد نيتشه في قرية روكن ، قرب مدينة لوتزن في سكسونيا في ١٥ اكتوبر سنة ١٨٤٤ . فسماه ابوه فريدريك باسم الامبراطور ، لانهُ ولد يوم مولد الامبراطور ، وكان والده وجدّه من قساوسة المسيحيين . والاسرة برلندية الاصل هجر اسلافها الى المانيا هرباً من سيف ليزسنسكي الجبار

توفي والد نيتشه سنة ١٨٤٩ فصار يتيماً من لعومة الاظفار . فهجرت والدته روكن الى نومبرغ ، حيث ادخلته المدرسة . فظل فيها الى سنة ١٨٥٩ ، وقد أتمّ دروسه الابتدائية والثانوية وكان يجلس عند قدمي جدّته تقص عليه حوادث غزو نابليون الاصقاع الالمانية في مطلع القرن التاسع عشر . فكان فريدريك يحدّق مصغياً الى حديثها الطريف ، فنشأ في نفسه ميل الى الجندية مما حمله على التطوّع في الجيش سنة ١٨٧٠ في حرب المانيا وفرنسا . ودخل نيتشه مدرسة بفورتا العالية . وسنة ١٨٦٤ دخل جامعة بون حيث درس اللغات اللاتينية واليونانية والعبرية والفرنسية ، علاوة على اللغة الالمانية . ثم عرج على جامعة ليبسك حيث تعمق في درس

الادب الاغريقي . وكان موضوع خطبته الافتتاحية في ليبسك « هوميرس واللغة الكلاسيكية » . فقادته الفنون الى الفلسفة . وعنده ان العالم اللغوي فيلسوف طبعاً ، وأن درس الادب يشمل التاريخ ، والطبيعيات ، وفلسفة الفنون . ثم القى محاضرة في « مستقبل نظم التهذيب » ظهرت فيها آثار « السوبرمان » . في هذه المحاضرة أبدى نظراً ثاقباً . وخيل اليه انهُ ذو رسالة عالية هي « ترقية النوع الانساني » او رفع مستواه

كان الالمان يرون ان المدرسة الالمانية هي التي ربحت الحرب سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٧١ . فخالفهم نيتشه في ذلك كل المخالفة . وقال ان نظام الثقافة الالماني بلاء على العقل . وان روح التسفل قد فشا في الالمان على أثر الحرب وان ذلك يؤول الى انحطاط المانيا وسقوطها . وان النهوض بها الى مستوى أعلى يستلزم انجاب النوابغ فكتب بهذا الاعتبار نقداً لاذعاً للمدارس الالمانية . لانها « مادية » يتدرَّب طلابها في جمع المادة وخدمة الدولة . وان ازدهار العلم أخذهُ في الذبول في المانيا . وكان يرمي الى بث روح الفن في قومهِ ، وتجلية الثقافة الاغريقية . وفحوى ما قال بهذا الشأن : — هنالك مدارس جمة تعلِّم طلابها كيف يعيشون ، وكيف يحوضون معامع القتال . تلك اوضاع الاكثرية الجاهلة ، ومقدمة التسفل والرجوع بالأمة القهقرى الا اذا تدارك الامر ارباب الفنون . فيلزمنا عباقرة متفننون ، ينتفنون في معاهد خاصة ، بعيدين عن مرضاء الحياة الاقتصادية ، تغذى نفوسهم بالادب والفلسفة (كما في جمهورية افلاطون) . ففي الاغريقيين نجد المبادىء السامية والمقاصد النبيلة والذوق السليم

نشأة التمثيل المسرحي

هذا اسم باكورة مؤلفات نيتشه ، صدر سنة ١٨٦٩ . وفي هذا الكتاب من شؤون الفن والفلسفة ما يسرّ وما يسوء . وخلاصة ما اورد نيتشه في اصل التمثيل هو ان ذلك الفن تولد من الشعر القصصي الغنائي الذي كان ينشد في حفلات « باخوس » اله المرح واللذات والخمور . فكان الكاهن يلبس جلد الماعز ، ويعصب عينيهِ ، ثم يأخذ في تلاوة الاشعار الدالة على مأساة ألمَّت بالاله . والعامة يزعمون انهُ هو الاله . لأنهُ كان في مظهر غريب . يتكلم بلسان الاله . ثم يحيط بهِ الكهَّان رفقاؤه يحدثونهُ وهو ينشد الاشعار في الوسط . هذا هو مظهر باخوس إله الحب والغرام

على ان هنالك إلاهة تخالف باخوس في الصفات . هي ابلونيا إلاهة العقل والرصانة والكمال . فعندنا والحالة هذه الهتان : هما باخوس المتصف بالتهتك والمرح . وابلونيا ذات الطهر والكمال وسموّ الحياة . تجتمع الشخصيتان في الادراك الاولي مجتمع الكوائن العليا التي تعيش بشرف وجمال . لقد أدهش العنصر الباخوسي العنصر الابلوني أولاً . ثم يقترن الاثنان فيلدان الفن « التيفون والكسندرا » . وباقتران باخوس بابلونيا يجتمع التقاضاد . باخوس المتصف

بالسكر . وابولونيا المتصفة بالجمال . فالتمدن والفن ابولونيان . والسكر والتهتك باخوسيان

كان هسيرودس ابولونيًّا متطرفاً . وكان هوميرس أقل منهُ تطرفاً . أما ارخيلوس فجمع في شعره الموسيقى والفن . فساتير إله خرافي يمثل باخوس أو الفنّ الديونيسي . وتُعنى الرواية بالهه الخمرة والحب . ثم تجسد إله الحب فيثُ وحيهُ في النفوس بوساطة جوقة الترنيم . . تلا ذلك سفوكليس واسخيلوس من أكابر المسرحيين . فأنزل هذان ، الآلهةَ عن المسرح . وجعلا التمثيل فنًّا عالميًّا يصوّر لنا الحياة بآلامها وآمالها . ولكن يوريبيدس لسان حال سقراط قضى على الفن كفن ، منحياً بهِ على مذهبِ الأخلاق السقراطية . وهذه الاخلاق التي يرى نيتشه أن النصرانية ورثتها عن سقراط هي علة الضعف والانحطاط . ولذا فهو يحمل حملة شعواء على الاخلاق السقراطية النصرانية وعلى نظام التنسُّك البوذي . لأن هذه الأشياء ضد الفن . وأهم أغراض الرواية الديونيسية التغلب على التشاؤم بوساطة الفن وبثّ روح الثقة والمسرة في النفوس . وكان اسخيلوس ، وزملاؤه سابقو سقراط ، سادة المشلين . فسقراط هو نقطة التحوُّل في الفن المسرحي . نجم عن ذلك التقهقر ، ان الفلسفة النقدية خلفت الشعر . والعلم خلف الفنّ ، والعقل خلف الغريزة . قال : هنالك جنس أحبَّ الجمال والحياة ، والقوة ، هذا الجنس هو الديونيسي . وهنالك جنس آخر أحبَّ طهارة الجمال ورصانته وسموّ خلقه . وهذا الجنس هو الابولوني . وأخيراً كان سقراط ، و « أخلاق » سقراط مأساة الرواية

هذه هي باكورة تفكير نيتشه ، وهي احدى جنبات فلسفته ومحور ما ألف بين سنة ١٨٦٩ و ١٨٧٦ عرج بعدها الى الكتابات الفلسفية . وكانت أواخر مؤلفاته تحمل طابعه الخاص . ولاسيما كتاب « زرادشت » آية فن نيتشه . أصدر هذا الكتاب في أربعة مجلدات . وتلاه كتاب « ما وراء الشر والخير » . ومجموع ما كتب نيتشه يداني العشرين مجلداً . طبع بعضها بعد وفاته . وقد أصابهُ الجنون سنة ١٨٨٨ ومات في مستشفى المجاذيب سنة ١٩٠٠

نظرة في تفكيره وهدف فلسفته

لنيتشه هدف واحد ثابت هو ترقية النوع الانساني . قال : كل ما يرقّي الانسان فهو حق وخير وما سفل بالانسان فهو شر وضلال . هذه هي رسالة نيتشه للبشرية . وهذا هو مفتاح فلسفته وحلّ ألغازها . ولهذا القصد وقف حياته وفلسفته . وهذا محور مشكلات حياته ومشاغباتها وما فيها من زيغ . قال نيتشه في ماهية الخير والشر وما وراء الخير والشر : كنت فيما سلف أحسبهُ تعالى أصل الشر كما انه أصل الخير . لذا كان للخير وللشر قيمة مطلقة في كل مكان ، وفي كل زمن . وفي كل أمة ، وفي كل حال . على أن تضلعاتي الفلسفية والتاريخية حملتني على تعديل هذا الرأي وحدتني الى المسألة التالية .

متى وكيف ابتدع الانسان قيمة الخير والشر ؟ وما هي قيمتهما النوعية ؟ لا أعقدَ من هاتين المسألتين في جميع التواريخ . فالخير والشر كثيران كبيرا التداول . فاذا ألصقنا بكلمة خير معنى ما ، فانما ذلك يفيد ما هو مرغوب فيه . واذا نحن ألصقنا بكلمة شر معنى ما فانما ذلك يفيد ما هو مرغوب عنه ويراد استئصاله . فيلزمنا التمعن في الامر قبل ان نتقدم حال المسألة في ما هو الخير ، وما هو الشر ؟

للخير والشر عند البعيدين عن الفلسفة ، قيمة مطلقة . فالخير عندهم واحد في كل عصر وأمة . فيمام امره ويقوم من نومه ، وهو واثق على الحالين بأنهُ يعرف ماهية الخير والشر دون ما ريب او التباس . رجل كهذا يسوؤه ان بعض القبائل تحسب اغتيال اطفالها خيراً . وحين تؤكد له ان الخير عند قوم هو غيره عند غيرهم يجنح الى الرغبة في تحلول الزمن الذي فيه يجمع الكل على ماهية الخير والشر ، وينتهي الشقاق والانشعاب

يحرر نيتشه نفسه من كل تحيز قومي وجنسي وديني ، ناشداً الحقيقة ، والحقيقة لا غير . فيدرس المسألة بذاته لذاته : هل الخير امر واضح وعدد ومطلق ؟ الجواب عند نيتشه هو : ان الخير والشر عند الناس عبارة عن وسيلة امتلاك القوة ودفع الضير . اي جر المغنم ودفع المغرم : جاء في كتاب «زرادشت» : لا قوة في الدنيا اعظم من الخير والشر ولا شعب يحيا وهو لا يقدرهما قدرهما . والامة التي تجاري غيرها في ما هو الخير والشر هي امة لا تعيش . في هذه العبارة تلمس علاقة نيتشه بكل الموضوع . وخلاصته ان ليس للخير والشر قيم مطلقة بل هما نسبيان متقلبان ، وهما عند كل امة بحسب اغراضها . وقيمة الخير متغيرة عند كل امة بتغير احوالها

توصّل نيتشه الى ذلك في اثناء بحثه يوم اخذ موضوعاً للبحث في اللاتينية وذلك موضوع « ثيونيس الميقاري » الارستقراطي . فأثر في نفسه استعمال كلة خير وشر عند كل من الارستقراطي والدمقراطي . فكان ثيونيس وأشياعه يرغبون في فوز قومهم . ويحسبون كل ما حال دون ذلك شرًّا . بمعنى انهُ خطرٌ يهدد نظامهم . فحدث ان تكلم ثيونيس في مناضلة الحزبين الدمقراطي والارستقراطي فكان الخير عند هؤلاء ، شرًّا عند اولئك . فقاد ذلك نيتشه الى ان الاخلاق حراب يتسلح بها الناس للفوز في معترك الحياة . وكانت عبارة «ما وراء الخير والشر» عنوان أفضل ما كتب من ثم جعل ينادي «بأخلاقة» جديدة . قال : من أراد ان يكون خالقاً في الخير والشر يجب عليه ان يكون هداماً اولاً ، فيحطم القيم القديمة ورأى ان استعمال الكلمتين «خير» و«شر» انما هو ذريعة لاحراز القوة . حوّل نظره الى عالم الحيوان وطبق عليه الحكم الآنف . فكل نوع من انواع الحيوان يتعرف خيراً يعني به الدنيا له وحده

فليس في الكون ، ولا في الاختبار ما يخالف نظرية نيتشه في ماهية الخير . الخير الذئب شر الحمل. وخير الأسد شر الشاة . ولو علم الأسد ان خير الشاة خيره، لتحول نباتيًا. ولكن لا نوع من الحيوانات يشترك في نظرية الخير والشر المقبولة عند البشر . ولا يقبلها احد من الضواري او الجوارح . فخير الجرث التهام الاسماك الصغيرة . وخير الانسان اهلاك الحيات والعقارب والبكروبات المرضية . فلا شيء خير مطلق ، او شر مطلق . انما الخير خير باعتبار . وقد يكون شرًا باعتبار آخر

قبلت نظرية الخير والشر مطلقين في كل ديانة ، وعند كل أمة . وخلدت في طبيعة الاجتماعية . واذا خالفها الانسان هلك . هذا هو اكتشاف نيتشه في عالم الاحياء . أما في عالم الحيوان فلا نراه في ذلك . وأما في عالم الانسان ففيه خلاف ظاهر ومذاهب . فيحسب احد الآدميين القتال وقتل الاعداء خيراً . وآخر يحسب ذلك شرًا . وفريق يرى السلب خيراً ، والقنيعة ارادة الله . وفريق آخر يحسب ذلك ارادة الشيطان . والخير عند المستعمرين (بكسر الميم) شرٌ عند المستعمرين (بفتحها) . فالاخلاقية واحة تنشرها كل أمة في سمائها لسد حاجاتها ، ونيل رغباتها ، واشباع جوع في نفسها . هل الامر القلاني خير ؟ يجب ان تحكم الأمة ، او الطبقة ، في ذلك ، فالخير عند الناس ما افاد والشر ما اضر . اما ما هو الخير بالذات او ما هو الشر بالذات ، فليس من يدري

حسب بعضهم نيتشه اباحيًا شريراً . وليس هو باباحي ولا شرير . انما كان يسعى الى خير البشرية وسعادتها . فرأى السعادة والخير في غير ما سلك الناس . فجعل يصيح بهم « ان ليس هذه هي المدنية ، ولا هذه هي الطريق » . فان لم ترجعوا وتصيروا كالاطفال ، يبدأون في السير من جديد ، في الطريق الحقيقية ، فلن تدركوا السعادة ولن تنالوا خيراً . فهل ما تقرر عند السلف انه خير او شر، هو كما زعموا ؟ وهل لأحكامهم مقبولة عندنا اذا نحن عقلنا ؟ بهاتين المسألتين يهاجم نيتشه أمنع حصون الهيئة الاجتماعية الحديثة ، أعني بها الكنيسة المسيحية ديانة الاكثرية الساحقة في اوربا واميركا

يرى نيتشه ، والعهدة عليه ان الكنيسة المسيحية من أسباب الانحطاط الانساني . وكانت الاقوام الاوربية قد تصفحت كتابات ستروس وداروين كما تصفحت من قبل كتابات هيدم ولامارك وكنت وشوبنهور ، فطن في آذانهم ان بناء النصرانية العظيم ينهار . فلم يسعه نيتشه الجحود ، ومعاذ تلك الصوناء . فحملة النار الاوربي على الجبر باستقلاله عنه وتفوقه عليه . لكنه لم يغر على الجهة التي ثار فيها أولئك الهدامون . أترى أولئك المتشككين عاملين خيراً في انهم هدموا العقائد النصرانية ظهريًا وأتوا على أخلاقها ؟ لقد وجدوا بذلك الايمان من خالق ولكنهم أبقوا على « الخلقية » المرتبطة به

نبذ ريتان وستروس وكتب العقائد وأبقوا على الاخلاق . فظل صرح النصرانية قائماً بالرغم من زواياتهم بعقائدها . بل ان ما تهدَّم رُمِّم ، وأعيد الى سابق مجده . وأعيدت ثقة الناس به كما في العصور الخالية . ومع عروج بعض المفكرين عن العقائد النصرانية، كلها أو جلها ، ما زالوا يقدسون الاخلاق المبنية على تلك العقائد . فبعضهم يحسب الاخلاق نتاج حاسة اللذة والالم . وانها قد تدرَّجت مع الانسان أو تدرَّج الانسان بها جرياً على سنن النشوء والارتقاء. وأكثرية الناس لم تسلم من شك العقيدة . على انه لا أحد منهم وقف يسأل نفسهُ عن فكرة الخير والشر في النصرانية أمطلقة هي أم نسبيَّة ؟ . وهل تسرَّبت الى النصرانية من خارج أو انها من ابداعاتها ؟ فاذ تنفس المفكرون الصعداء في المعركة المثار اليها، زاعمين انهم قضوا على النصرانية انما كانوا كمن يخلط بين الفرع والاصل .

على انهُ لا يجوز ان نغفل امراً جوهريًّا . وهو ان فلسفة نيتشه دينية في جوهرها ، وفي روحها. ولا ينكر احد متصفحيها ان نيتشه ديِّنٌ في أعماق طبيعته كما يثبت ذلك نظرة الى كتاب زردشت. وأعماق عقله طراز «خلقية» آخر غير الطراز الانجيلي. وان التطبيق عنده يستلزم اخلاقاً غير الاخلاق التي علمها الانجيل . اي انه ترمنا «خلقية» اسمى من خلقية الانجيل لكي نتجنب السوبرمان . فلم يقاوم نيتشه النصرانية عن شرٍّ او خبث ولم يكن شهوانيًّا متهتكاً . كلا . فلم يؤثر الكذب على الصدق ، والبطل على الحق . بل حارب الكذب والبطلان . وأوجب الحق والصدق : فلم يكن فاجراً ولا أوجب الفجور ولكنهُ كأبي العلاء المعرّي أوجب الصراحة والاخلاص . ولم يصانع لاكتساب الرأي العام . فصارح القوم بما لاح له انهُ الحقيقة دون مواربة ولا تمويه . فأبان ان الشهامة وعزة النفس والذود عن الحياض ، والاحتفاظ بالكرامة ، خير من التواكل والتواضع والرأفة والسماحة اي انهُ جعل المصلحة الذاتية تبنى على قوة الانسان لا على تواكله

لم يحارب نيتشه «الخلقيَّة» المسيحية لانها رذيلة عليا . بل حاربها ايثاراً لنظام أخلاق حسبه أكمل وأسمى وأنفع . وقال ان الناس هم الذين خلقوا القيمَ ولم تهبط عليهم من علٍ . وانه كما حطَّم ابراهيم أصنام والده ليكون أبا المؤمنين، هكذا على من يروم ان يكون مجدداً في الاخلاق ، ان يحطِّم التقاليد المتوارثة سلفاً عن خلف . لقد حسب قوم ابراهيم انه كافر لأنهُ حطم الاصنام المقدَّسة عندهم . ولسنا نرى في ابراهيم رأيهم ، بل نراه مثل الايمان الاعلى . هكذا يرى نيتشه ان من نبذ قيمَ السلف ليس كافراً ولا زنديقاً انما هو يبذ ما ألفناه وقدَّسناه ليضع موضعه ما هو خير منه . فالمواصلات البحرية خير من الاسفار على متون الجياد أو الجمال والسير بالسكك الحديد خير من السير في المراكب الشراعية أو

بخارية . وركوب متن الهواء بالطائرات خير من هذا وذاك ، مع الاعتراف بفضل كل مذهب في وقته ، وضرورة نبذه بعد وقته . فلا يحسب نيتشه نبذ «الخلقية» المسيحية زندقة . بل يرى ذلك واجباً ووسيلة ضرورية لانجاب السوبرمان فقال : — ان الذين للحكم خلقوا ، وله تهيأوا ، ليست الديانة شركاً يحول دون سلامتهم في مراكزهم . فالديانة تهب هؤلاء الطمأنينة والسلام . لأنها تؤازرهم بحوافز سامية لادراك حالٍ أرق من العزلة وقمع الذات والهدوء . فالعفاف وطهارة القلب وسيلة تهذيب البشرية وتشريفها وهي تمكنها من ادراك ما ترغب فيه من سيادة واعتزاز . فالديانة بهذا الاعتبار جمال الحياة . تعزّي الحزان . وتهوّن عليهم العبر والاحتمال . وتجعل لهم عمل الرواقية أو الكلبية في تابعيهما وليس في النصرانية والبوذية أشرف من رفع الوضعاء الى مستوى أعلى بواسطة التقوى والفضيلة . وقد رأى نيتشه طرازين من النظم والاخلاق . الطراز الاوّل أخلاق السادة . والطراز الثاني أخلاق العبيد . وانّ هنالك فراغ الكتائب بين فريقين من الناس يتبع احدهما طراز السادة والآخر طراز العبيد

فأخلاق السادة هي السنديانة الرامية الى بلوغ القمر . فضربت جذورها في جوف التربة ، وأغصانها في أجواز الفضاء . وهي تدعو ذلك خيراً . لأنه يدنيها من القمر . وان القطيع المستظل بأغصان السنديانة يرى ذلك خيراً . هذه هي اخلاق السادة

واخلاق العبيد هي العوسجة الحقيرة تحت السنديانة . وهي تقول : — وأنا ايضاً ابغي بلوغ القمر . ولكن اغصان السنديانة واوراقها فوقي تحجب عني ضياء الجميل . فالسنديانة اذاً شر . وعليه انقسم الناس فريقين مع صرف النظر عن الفوارق الجنسية او القومية او السياسية . وكل فريق يتصور طرازاً من الخلقية ، طراز السادة وطراز العبيد . فأي القانونين هو الانفع والاضمن لخير البشرية ؟ واي الاثنين ننصر ؟ هي مسألة مسائل الحياة ولكي يمكننا تحديد الخطإ والصواب في رأي الخصمين نرسم صورة واضحة لكل من الطرازين كما صور واضعيه

اولاً : السادة او النبلاء . الخير في نظامهم ما نشأ عن القوة كالشجاعة والكرم فالخير عندهم يعني النبل . والشر يعني الحقارة . اي الضعف والجبن . فالسيد يحوّل أجل وأفضل ما يرى . فالقانون العظام ، وابطال الوغى ، وكبار المشرعين هم من طبقة السادة

ثانياً : العبيد وهم المشتركون مع السادة في النزاع وقد ساورهم الضعف والوني والألم والعبودية : فالخير عند هؤلاء ما خفف آلامهم وعبوديتهم من رأفة أو حنان أو احسان او تواضع . لهذه الفضائل عندهم المحل الارفع . وما ينشأ عن القوة والغنى والصحة الجسدية منبوذ في شرعهم فالصالح عند هؤلاء هو المسالم الغيري الوديع . هذا هو سبب تركيتهم المسكنة والزهد والخنوع . فراضت خلقية العبيد هو الذي . ان بسبب فقر نفسه ، كل ما يحسبه أحقر وأقبح ، الى خلقية السادة . فالمتملكون والمتنعمون ، وعديمو الذوق والمبرسون

والحاقدون هم من رجال هذه الطبقة . فنظام القيم الثاني هو الاستسلام والخضوع والذل والمرارة . ولما كان الناس يتكيفون بنظام قيمهم كان من واجب الفيلسوف أن ينظر في أي الطرازين هو أفضلهما في ترقيتهم . ثم ينصر ذلك الطراز دون غيره حرصاً على مصلحة البشرية. رأى نيتشه في اوربا خطين ضدين ، خطًّا صاعداً ، وخطا نازلاً . ورأى ان نظام القيم السائد في اوربا هو نظام القيم المسيحية . ورأى انّ ألدّ أعداء المسيحية يتشبّث بهذه القيم وعليها يعوّل . والنتيجة ان الأكثرية الساحقة هم مسيحيون عمليًّا لا نظريًّا . أعني انهم يدينون بالاحكام المسيحية ويحبذون أخلاقها . فكان من أهم الضروريات وضع هذه الخلقية تحت مرقب الفحص للتحقق من انتمائها الى أي فريق ، أإلى السادة أم إلى العبيد ؟

فرأى نيتشه ان الديانة المسيحية غير عالمية ، بل هي أخروية . وحورها نبذ العالم الحاضر والامتساك بالعالم الآخر : لا تحبوا العالم ولا الاشياء التي في العالم : هذا هو باب المسيحية بقلم رسول المحبة العظيم. «لستم من العالم كما اني أنا لست من العالم ». هذا هو البيان المنسوب الى المسيح فمن الذي يفكر هذا التفكير ؟ الأقوياء . لا لعمري . كل شيء ظاهر للعيان . السادة متحكمون في القيم. وأخلاقهم مؤسسة على تمجيد الذات. أجل انهم يحسنون ويؤاسون. ولكن ذلك ناشئ عن شعور بالفيض ، لا عن رأفة . فهم يحترمون أنفسهم . والارستقراطي قياس نفسه في ما هو الخير وما هو الشر . فالخير عنده ما قام بالصفات ذات القدر . وليس عنده التزام لغير أقرانه . فيعامل الغرباء والعبيد كما يريد . فالشرفاء أقلية في وسط أكثرية ساحقة فتبذل ما في الوسع للاحتفاظ برفعتها وعلى الضد من ذلك أخلاق العبيد فهم يحتقرون الحياة ويكرهون النبلاء . فخير أولئك شرهم . وشر أولئك خيرهم . فيعيشون في الدنيا «غرباء وعابري سبيل » فيتحيز نيتشه للفريق الاول ويقول : غيّر قيمك والاّ هلكت

فالانسان السامي ، الذي هو هدف حياة نيتشه وسعيه ، هو الانسان الذي يعيش لهذه الدنيا ، والى جهوده الزراعية والصناعية يستند . فليس هو المتوكل الاخروي : قال بلسان زرادشت : — ألم تعلم ان الله مات ؟ جميع الآلهة ماتوا . فعلى المرء ان يحمل حمل نفسه . فان هدفه في هذه الدنيا لا في السماء البعيدة . حدّق الانسان في السماء فجهل واجباته على الارض . فعليه الآن ان يخفض نظره الى مسقط رأسه لكي يعرف كيف يعيش

وما عنى نيتشه به ليس مدلول الألفاظ لأن الله لا يموت . وانما المراد بذلك ان توكل الانسان واستناده الى قوة عليا تتحل عند نواميس هذا الكون ، هذا طراز من التفكير انتهى زمانه في نظره — والانسان الرشيد هو الذي يدرس النواميس الطبيعية ويلائم حياته وعمله عليها . فيزرع في وقت الزرع ويحصد في وقت الحصاد. ويأتي النتائج بأسبابها ويدخل الثاني بأبوابها